وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

EISSN : 2710-8643

ISSN : 2602-7585

إحالات
IHALAT

مجلة أكاديمية دولية نصف سنوية مُحكّمة

المجلّد 03 - العدد 02 - ديسمبر 2021

المركز الجامعي غليزان

معهد الآداب واللغات

لوحة الغلاف من تصميم الفنّان

أحمد بوحفص

ISSN: 2602 – 7585

EISSN: 2710 – 8643

الإيداع القانوني: ديسمبر 2021

مجلّة أكاديميّة دوليّة نصف سنويّة مُحكَّمة

تصدر عن معهد الآداب واللّغات بالمركز الجامعي مغنيَّة بالجزائر

تُعنى بنشر الدّراسات اللّغوية والأدبيّة والنّقدية

باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة

المُجلَّد 03 / العدد 02

ديسمبر 2021

تُرسَل المقالات عبر حساب المجلّة في المنصّة الجزائريّة للمجلّات العلميّة:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/587

تُوجَّه المُراسَلات إلى رئيس التّحرير عبر بريد المجلّة:

adabmajala18@yahoo.com

المدير الشّرفي للمجلّة

أ. د. مراد نعوم

مدير المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

مدير المجلّة

د. نورية بن عدّي

مديرة معهد الآداب واللّغات – المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

رئيس التّحرير

أ. د. سيدي مُحَمَّد بن مالك

المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر

فريق التّحرير

أ. د. يوسف إسكندر	جامعة بغداد – العراق	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ فواز	الجامعة الهاشميّة – الزّرقاء – الأردن	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الحقّ بلعابد	جامعة قطر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عماد غنوم	الجامعة اللّبنانية – لبنان	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادر إدلبي	جامعة كوجه ألي – تركيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. سالمة العمامي	جامعة طبرق – ليبيا	مساعد مُحرِّر
أ. د. عواطف عبد المنعم	جامعة إفريقيا العالميّة – الخرطوم – السّودان	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الله بريمي	جامعة الرّشيدية – المغرب	مساعد مُحرِّر
أ. د. مُحَمَّد شوقي الزّين	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. مختار زواوي	جامعة سيدي بلعباس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عزّ الدّين جلاوجي	جامعة برج بوعريريج – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. حاج أحمد الصّديق	جامعة أدرار – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. سعيد تومي	جامعة البليدة 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر

أ. د. مُحَمَّد خاين	جامعة غليزان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. نادية بوشفرة	جامعة مستغانم – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر شريف حسني	جامعة تيارت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد القادر رحماني	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. عبد الرّحمن بغداد	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
أ. د. فاطمة صغير	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مجدي الأحمدي	جامعة تبوك – السّعودية	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد صالح حمراوي	المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة – تونس	مساعد مُحرِّر
د. نصيرة شيادي	جامعة تلمسان – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الرّزاق علّا	جامعة عين تموشنت – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. غزلان هاشمي	جامعة سوق أهراس – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سهيلة مريبعي	جامعة الجزائر 2 – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. أحلام بن الشّيخ	جامعة ورقلة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. فتيحة بلحاجي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. وهيبة وهيب	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. سمير زياني	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. حنان رباحي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. مُحَمَّد بكاي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	مساعد مُحرِّر
د. عبد الصّمد عزوزي	المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر	سكرتير التّحرير

فريق المُراجِعين لهذا العدد

أ. د. بشير عبد العالي [جامعة تلمسان – الجزائر]	أ. د. عبد الله بريمي [جامعة الرّشيدية – المغرب]
أ. د. هاجر مدقن [جامعة ورقلة – الجزائر]	أ. د. مختارية بن قبلية [جامعة مستغانم – الجزائر]
أ. د. عزّ الدّين حفّار [جامعة مستغانم – الجزائر]	أ. د. عبّاس العشريس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
أ. د. عبد القادر بوشيبة [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. أمّ السّعد فوضيلي [جامعة المسيلة – الجزائر]
د. روفية بوغنوط [جامعة أمّ البواقي – الجزائر]	د. فاطمة الزّهراء زيبوش [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]
د. فاتح بوزرى [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]	د. الشيخ كبير [جامعة عين تموشنت – الجزائر]
د. عبد الحميد ختالة [جامعة خنشلة – الجزائر]	د. فطيمة الزّهرة عاشور [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]
د. مُحَمَّد يزيد سالم [جامعة باتنة 1 – الجزائر]	د. حسيبة عدو [جامعة سعيدة – الجزائر]
د. حورية مرتاض [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. فوزية سرير عبد الله [جامعة البليدة 2 – الجزائر]
د. رقية جرموني [جامعة معسكر – الجزائر]	د. مُحَمَّد كوشنان [جامعة المدية – الجزائر]
د. لبنى أمال موس [جامعة تلمسان – الجزائر]	د. سعيد بن عامر [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]
د. دليلة زغودي [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. نسيمة شمام [جامعة خنشلة – الجزائر]
د. نوال آقطي [جامعة بسكرة – الجزائر]	د. سماحية خضار [جامعة مستغانم – الجزائر]
د. نجية موس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. ياسين بوراس [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]
د. منى بشلم [المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة – الجزائر]	د. مُحَمَّد نجيب مرني صنديد [جامعة عين تموشنت – الجزائر]
د. صليحة بردي [جامعة خميس مليانة – الجزائر]	د. سليمة مسعودي [جامعة باتنة 1 – الجزائر]
د. عبد الله بن صفية [جامعة برج بوعريريج – الجزائر]	د. سعيد أبو خضر [جامعة آل البيت – الأردن]
د. زعيمة عراس [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. خديجة مرات [جامعة سطيف 2 – الجزائر]
د. عبد الله بن زهية [جامعة الجزائر 2 – الجزائر]	د. مدقدم مولاي [جامعة المدية – الجزائر]
د. عزّ الدّين بلمختار [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	د. عبد الرّحمن حمداني [جامعة خميس مليانة – الجزائر]
د. عبد الوهاب رمضان رجب السّيد [تركيا]	أ. لحسن عزّوز [جامعة بسكرة – الجزائر]
أ. عبد المجيد عامو [المركز الجامعي مغنيّة – الجزائر]	أ. إبراهيم الطّاهري [المغرب]
أ. مُحَمَّد أفيلال [المغرب]	أ. خيرة بن مهيدي [الجزائر]

قواعد النّشر في المجلّة

تُرحِّب مجلّة "إحالات" بنشر البحوث الأكاديمية الرّصينة في اللّغة والأدب والنّقد، باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة، مع الالتزام بقواعد النّشر الآتية:

1. ألّا يكون البحث قد سبق نشره، أو قُدِّم للنشر في مجلّة أو أيّ شكل من أشكال النّشر الأخرى.
2. ألّا يتجاوز عدد صفحات البحث 25 صفحة.
3. أن يُرفَق البحث المكتوب باللّغة العربية بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغتيْن العربيّة والإنجليزيّة. وأن يُرفَق البحث المكتوب بإحدى اللّغتيْن الأجنبيتيْن (الإنجليزيّة أو الفرنسيّة) بملخّص في حدود (100) كلمة والكلمات المفاتيح في حدود (05) كلمات باللّغة الإنجليزيّة.
4. أن يُكتَب البحث باللّغة العربيّة بخطّ Sakkal Majalla قياس 16 في المتن و12 في الهامش، والبحث باللّغتيْن الإنجليزيّة والفرنسيّة بخطّ Times new roman قياس 12 في المتن و10 في الهامش.
5. أن تُفرَد للأشكال والجداول والصّور والرّسومات صفحات خاصّة داخل البحث نفسه.
6. أن تُكتَب الهوامش في آخر البحث آليًا.
7. أن يُراعى في كتابة الهوامش ترتيبُ البيانات، كما يلي: اسم المُؤلِّف ولقبه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة، ورقم الصّفحة.
8. أن يُختَم البحث بقائمةٍ للمصادر والمراجع المعتمَدة.
9. أن يُراعى في كتابة قائمة المصادر والمراجع ترتيبُ البيانات، كما يلي: لقب المؤلِّف واسمه، وعنوان المؤلَّف، ودار النّشر، ومكان النّشر، وعدد الطّبعة، وتاريخ صدور الطّبعة.
10. أن يلتزم المُؤلِّف بإجراء التّعديلات التي يطلبها المُراجِعون في أجل أقصاه (15) يومًا.
11. أن يلتزم المُؤلِّف بإدراج المراجع في المنصّة الجزائرية للمجلّات العلميّة وإمضاء التّعهُّد في أجل أقصاه (07) أيّام، وذلك بعد قبول المقال للنّشر.

فهرس

افتتاحيّة العدد	رئيس التّحرير	08
أخبار البخلاء في تراث الأدباء	نصيرة عليوة	09
تجليات التفاعل الثقافي الجزائري المغاربي من خلال أعمال "ابن رشيق" الأدبية والنقدية	فريدة مقلاتي	28
التفاعل الثقافي بين حاضرتي تلمسان وفاس في العهد الموحدي	حنينة طبيش	47
الشعر المرقوم – جماليات كتابة الشعر	ايت العسري عادل	59
التحليل البنيوي التكويني للشعر في النقد الجزائري مختار حبار أنموذجا	مريم شويشي ومحمد وهاب	75
التناص وظلاله الثقافية – مقاربة تطبيقية في نماذج من المجموعة غير الكاملة لإسماعيل إبراهيم شتات "ابن الشاطئ"	فاطمة الزهراء عطية	87
النص الترسّلي ونظرية أنواع النصوص – إشكاليّة التصنيف	أمحمد شليم	103
الأدوات الحجاجية في النص الترسلي الرسالة الرستميّة أنموذجًا	نجاة بقاص	117
الهُوية ومُقاومة الآخر في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص	حمزة بوزيدي	135
الكتابة بالتفكيك في النقد العربي المعاصر قراءة في نماذج نقدية	بوبكر النية	146
كلمات من لهجة قبيلة بني عامر (الملالحة) بقطاع غزة دراسة دلالية	حسين عمر دراوشة	159
الاقتراض المعجميّ بين اللّغات نماذج من رحلة الكلمات العربيّة إلى اللّغة الإسبانية	وهيبة وهيب وخديجة عبد الرحيم	182
الاستعارة في الإقراء المدرسي للنصوص – نحو تصور جديد	محمد صوضان	194
مظاهر الازدواجيّة اللغويّة في الفايسبوك وأثرها في اللغة العربيّة – دراسة ميدانيّة لمجموعات فايسبوكيّة تواصليّة أنموذجا	زينب بشيري	208
La conception de l’expérience religieuse dans l’œuvre de Mircea Eliade, *Le sacré et le profane*	Hadjera DJEBARI	218

افتتاحيّة العدد

يمثّل العدد الجديد من مجلّة "**إحالات**" ثمرة جهود حثيثة قام بها أعضاء فريق التّحرير والمُراجِعون. وهي جهودٌ تُضاف إلى بذْل مُتقدِّم كان قد رعاه، باقتدار عظيم ومُكْنَة فريدة، رئيس التّحرير السّابق الدكتور مُحمَّد بكاي الذي تتشرَّف أسرة المجلّة بعضويته الدّائمة في هيئة تحريرها، مُنتفِعة من خبرته المُتبصِّرة ورأيه السّديد، ومُتمنيّة له، في الآن نفسه، التّوفيق كلّه في حياته العلميّة والأكاديميّة على السّواء.

ويظلّ الهدف الأسمى لهذه الجهود المتواصلة والمتراكمة، فضلًا عن الإسهام مع مجلّات أخرى في الارتقاء بالبحث العلمي في الجامعة الجزائريّة، هو تمكين المجلّة من بلوغ مقام المجلّات المصنّفة في الرّتبة (ج). وهو هدف مشروع، تصبو إليه المجلّة منذ تأسيسها، وتتحمّس له مع كلّ عدد تُصدِره، وتسعى إليه في كلّ طوْر من أطوار مسيرتها المحفوفة بالآمال والإكراهات معًا؛ فقد أثبتت "**إحالات**" أهليَّتها العلميّة بأن تكون في تلك المنزلة، وهي أهليّة يشهد عليها إقبال المُؤلّفين المُتعاظِم على النّشر فيها، ودأبها على الاستجابة للمعايير التّقنية المُعتمَدة من قِبَل اللّجنة العلميّة الوطنيّة المُصادِقة على المجلّات العلميّة في انتقاء مجلّات الصّنف (ج)، وحصولها، باستمرار، على مُعامِل التّأثير العربي لاتّحاد الجامعات العربيّة، وإتاحتها في قواعد معلومات رقميّة عربيّة مثل قاعدة معلومات دار المنظومة.

والحقّ، إنّ تلك الجهود ما كانت لتُثمِرَ هذا العمل الرّصين، وتفضيَ إلى ما أفضَت إليه من سمعة علميّة طيّبة توشَّحت بها "**إحالات**"؛ سمعة ما فتِئت تتضاعَف من عددٍ إلى آخر، لولا هذا الالتفات المُتزايد لجمهور المُؤلّفين والباحثين والقرّاء إلى موادها الثّرية والجادّة. وهو ما يحثّ أسرة مجلّة "**إحالات**" مُجتمِعة، من أعضاء فريق التّحرير ومُراجِعين، على الوفاء، أكثر، بالتزاماتها العلميّة والأخلاقيّة خدمة للعلم والعلماء؛ فالله نسأل الإخلاص في النّية، والإخلاص في العمل. والله من وراء القصْد.

رئيس التّحرير

الاستعارة في الإقراء المدرسي للنصوص

نحو تصور جديد

Metaphor in school teaching of texts
Towards a new vision

محمد صوضان*

طالب باحث – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة ابن زهر – أكادير – المغرب

saoudane@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021 / 09 /12	2021 / 10 / 06	2021 / 12 / 01

مُلخّصُ البَحث

يسعى هذا المقال إلى اقتراح تصور نظري وتطبيقي لتدريس الخطاب الاستعاري في مكون إقراء وقراءة النصوص في السلك التأهيلي من التعليم الثانوي، وهو تصور استخلص من المنظور التصوري/ المفهومي للاستعارة. وعلى الرغم من أن هذا التصور الذي كان وراءه مارك جونسون وجورج لايكوف بني، في الأساس، على اللغة اليومية إلى أننا وسعناه، اقتداء ببعض تصوراتهما اللاحقة[1]، ليشمل الخطاب الأدبي. وهدفنا من إقامة تدريس الاستعارة على هذا التصور، تجاوز التصورات التقليدية التي تعد الاستعارة نقلا لفظيا ومن ثم التركيز على المنقول والمنقول منه في عمليات تقوم على الجرد والتصنيف دون النظر إلى هذه الاستعارة على أنها شكل من أشكال إعادة تنظيم الواقع وأشيائه، وأنها باب إلى فهم هذا الواقع فهما ابتكاريا.

<u>الكلمات المفاتيح</u>: الاستعارة التصورية، الفهم القرائي، القراءة، النماذج العقلية، الإدراك.

Abstract

This article seeks to propose a theoretical and applied conception of teaching metaphorical discourse in the unit of teaching and reading texts at the upper level of secondary education, a concept drawn from the conceptual perspective of metaphor.Although this conception, which was behind Mark Johnson and George Lakoff, was based primarily on everyday language, we expanded it, following some of their later

---

الاسم واللقب والبريد الإلكتروني: محمد صوضان * saoudane@gmail.com

conceptions, to include literary discourse.Our goal in establishing the teaching of metaphor on this perspective is to transcend the traditional perceptions that consider metaphor as a verbal transmission and then focus on the transmitted and transmitted from it in operations based on inventory and classification without looking at this metaphor as a form of reorganizing reality and its things, and it is a door to understanding this Indeed, they are innovative.
Keywords: Conceptualmetaphor, reading comprehension, reading, mental models, cognition.

1. مقدمة

يهدف هذا المقال إلى اقتراح تصور لتدريس الخطاب الاستعاري في درس الفهم القرائي، منطلقا من فرضية أساس، وهي أن تدريس الاستعارة بالطريقة المعتمدة سواء في درس علوم اللغة أو النصوص القرائية لا ترقى إلى الغاية من تدريس الأدب؛ لأنها تنشغل بجرد العناصر التي تشكلها أكثر من الاهتمام بدورها في إعادة تشكيل تجارب المتخاطبين وإغنائها، وصياغة الواقع بإعادة ترتيب أشيائه وعلاقاته.

نؤسس تصورنا المقدم في المقال على النظر إلى الاستعارة على أنها عنصر خطابي يمكننا من فهم مجالات وتجارب بإحالتها ومماثلتها بجوانب أخرى، وتقوم على تحدي نماذجنا الثقافية والعقلية بإعادة تشكيل وتنظيم أشياء وعلاقات العالم تشكيلا وتنظيما يخرجها من "المنطقي" و"المعقول" حسب تصنيفاتنا. وبالتالي، النظر إليها على أنها وسيلة تتيح لنا الفهم خارج المألوف والمعتاد. وإذا كانت عملية الفهم تدمج معطيات النص بالمعرفة الخلفية المشكلة أساسا بفعل التجربة الواقعية؛ المباشرة أو غير المباشرة، فإن هذه المعرفة تقوم بدور مركزي من خلال فرض مساراتها وخرائطها المعرفية والإجرائية على فهم الخطابات وتقبلها، ومطابقة العوالم المنشأة في هذه الخطابات بالعوالم المدركة من خلال التجربة. يخرق الخطاب الاستعاري هذه المماثلة بين عالم الخطاب وعالم الواقع فيصير من الصعب تأويل عالم هذا الخطاب باعتماد التجربة الواقعية. من هذا المنطلق نود اقتراح تصور يتجاوز مجرد التصنيف والجرد المعتمد في إقراء الخطاب الاستعاري إلى النظر إلى هذا الخطاب على أنه تجاوز لتنظيم الواقع المألوف وإعادة صياغة له بطرق ابتكارية يطغى فيها التجديد على النمطية، وفي المقابل ضرورة الارتفاع إلى هذه العوالم المنشأة استعاريا ومحاولة عدم فرض تجاربنا الواقعية عليها، ولم لا التسليم بأنها قادرة على أن تعلمنا مسارات جديدة في الفهم والتأويل مخالفة لتأويلنا النمطي المحدد بحدود الواقع وآليات عمله.

ولتأكيد هذا التصور، سلكنا مسارا يبين أن الخطاب الاستعاري يتحدى هذا النمط العادي من الفهم، وبعد أن قدمنا توصيفا مختصرا للخطاب الاستعاري في البرامج الدراسية ركزنا القول على أهمية الاستعارة في الفهم مقدمين نموذجا تطبيقيا.

2. الاستعارة موضوعا للفهم في الخطاب التربوي

نعتمد في فهم العالم وموجوداته من حولنا واستيعابه على تجربتنا المبنية على شكل تصورات "تبسيطية للعالم تلتقط ما يعتبر نموذجيًا أو عاديًا. وما يعتبر كذلك، يختلف باختلاف السياق والمجموعة الاجتماعية والثقافية للأشخاص"[2]. يتم تسمية هذه الصور التبسيطية (تبسيطية لأنها تبنى على التجربة المباشرة أو المكتسبة بوسيلة غير مباشرة كالقراءة والتلقي بصوره) عادة بـ "النظريات الشعبية" (folk

theories) أو "الأطر"(frames) أو "السيناريوهات" (scenarios) أو "النسخ" (scripts) أو "النماذج العقلية" (mental models) و"النماذج الثقافية" (cultural models) و"نماذج الخطاب" (Discourse models) و"عوالم مجسدة" (figured worlds) (ولكل مصطلح من هذه المصطلحات الفروق الدقيقة). يتم تخزين مثل هذه القصص النموذجية في عقولنا في شكل صور واستعارات وسرديات"[3]. وغالبا ما تكون النماذج العقلية التي نواجه بها العالم مبسطة، وغير واعية؛ إنها منظورات أو قصص مسلمة بها حول كيفية عمل العالم نستخدمها للتواصل بكفاءة مع حياتنا اليومية. نتعلمها من التجارب التي مررنا بها، ولكن بشكل حاسم؛ إذ يتم توجيه هذه التجارب وتشكيلها وتحديد معاييرها من قبل المجموعات الاجتماعية والثقافية التي ننتمي إليها. من هذه التجارب نستنتج ما هو "طبيعي" أو "نموذجي" ونميل بمقتضاها إلى التصرف بناءً على هذه الافتراضات ما لم يخبرنا شيء ما بوضوح أننا نواجه استثناءً. وما دام لكل منا نسخته الخاصة عن الأوضاع الحياتية التي يتفاعل معها، فإن وظيفة هاته النسخ تكمن أولا في توفير إطار أو أطر تسند توقعاتنا وتأويلاتنا وفهومنا للأحداث والحالات التي تواجهه. وانطلاقا منها يضفي الانسجام على التجارب الجديدة التي يصادفها، وفي الوقت ذاته تحدد له المسار الذي يقطعه أثناء سعيه إلى التفاعل معها إما بالخضوع لها أو بإخضاعها.

يستصحب القارئ إلى النص، وهو يقرؤه، هذه النماذج العقلية أو هذه التصورات التي شكلها عن الواقع وعمله، مضافا إليها تصورات أخرى اكتسبت لا من طريق التجربة المباشرة، بل من التفاعل مع عوالم إبداعية أو فكرية مكنته من بناء أطر حول خرائط بنى النصوص وكيفية بنينتها لعوالمها أو ما يسمى بـ "التقاليد الأدبية" فيدمج الكل في تشكيلات تتيح له توقع سيناريوهات النصوص بالاعتماد على تلك الذخيرة من التصورات الواقعية والخطابية. وانطلاقا من هذا التداخل بينها تتداخل في ذهن المتلقي آليات عمل العوالم في الواقع من آليات عملها في النصوص لدرجة التطابق محاولا، في غالب الأحيان، إسقاط عمل الواقع في الخارج الفعلي على الواقع في النصوص. من هنا، اعتبار الخطاب إعادة تشكيل للعالم وصياغة ممارساته صياغة جديدة. وبالانطلاق من هذا التقاطع بين العالمين تفرض النماذج العقلية والتصورية المشكلة في الواقع لتمثيل وتمثل عالم النص. ويعتبر ما خضع من عالم النص لآليات عمل الواقع نموذجيا ومعياريا ومقبولا، وفي المقابل يعد ما خرج عن آليات تمثيل عوالم الواقع في الخطاب خرقا وانزياحا وغير مقبول.

انطلاقا من هذا المهاد النظري ننطلق من فرضية نبني عليها ما تبقى من البحث، مفادها أن الخطاب يعيد صياغة الواقع عبر تقطيعه وتشكيله تشكيلا يصدر عن رؤية المخاطِب الفنية أو الفكرية أو العلمية. وفي هذا التقطيع يسلك مسارين لا ثالث لهما؛ إما أن يصوغ مقاطع خطابية تحاكي آليات عمل الواقع وتطابقها، أو يلجأ إلى تشكيل عوالم جديدة كليا تعيد صياغة علاقات الواقع وأشيائه عبر خرق المألوف منها وإعادة إنتاجها إنتاجا يخرج عن المألوف والاعتيادي وما اعتبر نموذجيا ومسايرا لتوقعات ومسارات عمل الواقع. نسمي الصيغة الأولى "الخطاب المباشر" لقيامه على إعادة إنتاج العلاقات الواقعية المعيارية في بني لغوية تقوم على علاقة التطابق أو ما يسميه القدماء بـ "الحقيقة"، كما نسمي النوع الثاني بـ "الخطاب الاستعاري"

بالمعنى الواسع، لارتكازه على خلخلة العلاقات الواقعية عبر التصرف في موجودات العالم بإعادة تنظيمها تنظيما جديدا يقوم على خرق المألوف والنموذجي في الواقع وهو ما نقصده بـ"المجاز" أو الاستعارة بمعناها الواسع. إذا كان النموذج الأول سهل التلقي لعدم تناقضه مع تمثلات المتلقي حول الواقع، فإن النوع الثاني يضطر المتلقي إلى إعادة النظر في تلك التمثلات واللجوء إلى "التأويل" لإعادة تلك التشكيلات الجديدة لتنسجم مع تفاعلات عمل الواقع.

2. 1. الاستعارة؛ من العالم إلى الخطاب

قُدمت، عبر تاريخ الاستعارة، العديد من الرؤى والتصورات بشأن ماهيتها ووظيفتها وحدودها وأشكالها؛ فمنذ أرسطو إلى آخر ما انتهت إليه النظرية الاستعارية العصبية نوقشت قضايا الماهية أكثر من غيرها؛ فمن قائل بأن الاستعارة ظاهرة لغوية، وهو الرأي الذي استحوذ على الدراسات اللغوية إلى حدود نهاية السبعينات، ومن معتبر إياها ظاهرة تصورية إدراكية محايثة للفكر والإدراك، ومن معتبر إياها ظاهرة عصبية وهو ما انتهى له جورج لايكوف في بعض أبحاثه الأخيرة[4]. سنقدم تعريفا مبسطا للاستعارة نتجاوز به التعاريف المقدمة في إطار البلاغة العربية، وهو تعريف تسنده خلفية إدراكية، نقترحه مدخلا لربط الصورة البلاغية أو الاستعارة بالنماذج العقلية وبالتالي الفهم من خلال الاستعارة.

تعرف الاستعارة من منظور إدراكي بـ "أنها التفكير في الشيء (أ) كما لو كان شيئا آخر (ب)"[5]. وينظر لها على أنها بنية إدراكية ذات مستويين؛ تصوري ولفظي"[6]، مع اعتبار الجانب اللفظي؛ أي اللغوي، تابعا للتصوري[7]. وبالتالي، فإن القضايا التي نوقشت في أصل الاستعارة هل هي لفظية أو معنوية بتعبير الجرجاني والقدماء نوقشت مع ريكور بالقول بأن "الاستعارة ظاهرة إسناد لا تسمية"[8]، والتي على أساسها تحددت وظيفة الاستعارة، وقطعت، منذ نهاية السبعينات، مع التصورات التي تعدها مجرد زينة لفظية أو مكون شعري غايته إضفاء الزخرف على الرسالة الشعرية. وقد اعتبر القول بلفظية الاستعارة أو باسميتها وزخرفيتها مسلمة مرفوضة لعدها الاستعارة مجرد حدث يدل على التسمية، أي مجرد استبدال في دلالة الكلمات. وبالمثل، فالقول بمعنويتها وإسنادها قول بأنها ظاهرة تصورية فكرية إدراكية.

إن أهم وظيفة تقوم بها الاستعارة بالمعنى التصوري الإدراكي هي الفهم "إتاحة فهم جزئي لنوع من التجارب من خلال نوع آخر"[9] إما من خلال بنينة تصور ما، استعاريا، عن طريق تصور آخر (الاستعارات البنيوية)، أو تنظيم نسق كامل من التصورات باعتماد نسق آخر (الاستعارات الاتجاهية)، أو رؤية الأحداث والنشاطات والأحاسيس والأفكار باعتبارها كيانات وأشياء محسوسة (الاستعارات الأنطولوجية). وبالرغم من الأفكار التي قدمتها المقاربة الإدراكية التي تتجه إلى الاستعارة في الخطاب اليومي، في الغالب؛ أي الاستعارات الوضعية، إلا أنها صحيحة بالمثل في الأدب؛ أي الاستعارات الإبداعية "الموجودة خارج نسقنا التصوري العادي، وتقوم أساسا على مبدإ الخلق، وتضم الاستعارات ذات الطابع الجمالي والإبداعي في كل أنواع الخطابات. وتبتكر هذه الاستعارة رؤية جديدة اعتمادا على ثلاث عمليات، هي: توسيع الجزء المستعمل في

الاستعارة الوضعية، واستعمال أجزاء مهملة في الاستعارات الوضعية، وخلق استعارة جديدة"[10]؛ ففي الأدب كذلك نجد "الشعراء والقراء يستخدمون في تأليف الشعر وفي قراءته المبادئ الإدراكية نفسها في الفهم المجسدن.. كما أن النص الشعري يمثل فضاء تخيليا شعريا يمكن النظر إليه كوسط تخضع فيه المفاهيم اليومية للتحويرات وتصبح صورا شعرية"[11].

وكما قدمنا سابقا فإن المعلومات المسجلة عن طريق اللغة مبنينة ومصوغة بالطريقة نفسها التي ينظم بها العقل التجربة. وما دام الخطاب الشعري، خاصة، يطابق بين الصياغة اللغوية والتجربة الذهنية فهو يقع خارج مجال الاستعارة، والعكس صحيح، كلما أعاد الخطاب صياغة التجربة الجديدة بطريقة ينزاح فيها عن آليات عمل التجربة في الواقع كلما احتيج إلى التخلص نسبيا من سطوة النموذج الذهني لاستدماج رؤى وتجارب جديدة تتيح للذات الفهم خارج المألوف والاعتيادي. من هنا، تأكيدنا أن الاستعارة بقدر ما تربكنا بصياغتها الكائن والممكن في علاقة جديدة بقدر ما تجعلنا ننفتح على عوالم أخرى ممكنة خارج نماذجنا وتصوراتنا، وتدفعنا إلى التخلص من مركزية نماذجنا الثقافية في إدراك الواقع والتعبير عنه.

انطلاقا مما تقدم، نتساءل الآن ما حظ هذه الأفكار ومثيلها في تدريس البلاغة في الفصول الدراسية ؟ وما المتعة والمنفعة المتحققة من خلال الخطابات الاستعارية في إقراء وقراءة النصوص الشعرية خاصة ؟ ولماذا لا يتم تطعيم الدرس البلاغي بالنتائج الجديدة في الاستعارة بمعناها الكلي عوض الاقتصار على المنظور الكلاسيكي الذي يركز على تفتيت بنية الخطاب الاستعاري إلى أجزائه بدل تعرف كيفية تحوير الواقع والتجديد في صياغته ؟

2. 2. الاستعارة في البرامج التربوية: مقاربة وتوصيف

شغلت الاستعارة، بمفهومها السابق، جانبا مهما من برامج الثانوي التأهيلي؛ الأدبية والعلمية؛ إذ تحضر منذ المفردات الأولى للجذع المشترك العلمي والأدبي ليتم التعمق في مفهومها وأنواعها ووظائفها في المستويات التالية. لكن ما يلاحظ على هذا التنزيل الإجرائي للاستعارة والمجاز بشكل عام لطبيعة مكونات البرنامج الدراسي للغة العربية أنه يفصل بين ظواهر ما كان لها أن تفصل للمناسبة الوثيقة بينها؛ ففيما يتعلق بظاهرة "الانزياح" التي نجدها في درس "بلاغ الإمتاع" أول درس لغوي في السلك التأهيلي. نجد أن "الإمتاع" المؤسس على أشكاله ومستوياته؛ أي الانزياح وخاصة الدلالي يدرس بمعزل عن مفاهيم المجاز والاستعارة عبر الانطلاق من جملة من الأمثلة الشعرية والنثرية المبنية على التخييل والخرق الدلالي للغة للتدليل على وظيفة الإمتاع دون تحديد دقيق للمقصود بالمتعة وكيف يتم تحصيلها من تلك الخطابات المنزاحة. نجد بالمثل في برنامج الثانية بكالوريا الأدبية فصلا بين التصور الجديد للصورة الشعرية، المطور نسبيا عن التصور التقليدي، وقضية اللغة الشعرية التي تستعيد بشكل من الأشكال قضايا الانزياح وآليات الخرق اللغوي ومستوياته وتقنيات خلق التنافر ونفيه؛ أي تأويل الخطاب الانزياحي، بل والفصل بين الرمز والأسطورة والصورة باعتبار العلاقة بين طرفي الإحالة فيهما استعارية أساسا.

وفيما يرتبط بطبيعة الدرس الاستعاري العام والخاص في هذا السلك، نجد الاحتفاظ بنفس التنظيم الذي اقترحه السكاكي واستعارته المؤلفات البيداغوجية التي استجابت للرغبة التبسيطية لمباحث البلاغة العربية، من قبيل البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين وعلوم البلاغة للمراغي والطاهر بن عاشور وغيرهم. يقدم مبحثا "المجاز والحقيقة" أمام مبحث "المجاز المرسل" وعلاقاته السببية والغائية والزمانية والمكانية.. ثم "الاستعارة" وأشكالها وأنواعها؛ من مكنية وتصريحية، ومرشحة ومجردة وأصلية وتبعية، وغير ذلك من التشقيقات المفصلة في كتب الأقدمين، ثم الكناية وأنواعها وأفرعها. وإذا انتهينا إلى السنة النهائية نجد صياغة متطورة نسبيا للدرس الاستعاري بمسمى جديد؛ هو الصورة الشعرية، كما يتم إعادة تجميع العلاقات الرابطة بين طرفي الصورة في "المشابهة" و"المجاورة"، مع التركيز على النظر إلى مكونات الصورة الحسية والتجريدية ووظيفتها الجمالية والنفعية وانطلاقا من ذلك تحدد طبيعة الصورة ووظيفتها في الخطابات الأدبية.

أما طريقة إقراء هذه المباحث فمتنوعة؛ ففي شق منها يتم الانطلاق من أمثلة غالبا تكون مقطوعة من خطابات كاملة فترصد الظاهرة وتستنتج المبادئ لتطبق بعد ذلك على أمثلة مقطوعة عن سياقاتها كذلك. أما الطريقة الثانية فتتم من خلال خطابات كاملة؛ شعرية بالخصوص، مع اعتبارها مرحلة تقنية، في الغالب، يتم المرور بها في مرحلة التحليل بمعزل عن النظر إليها كآليات خطابية مسهمة في إنتاج معنى الخطاب. وفي المقابل، تعتمد تقنية جرد أنواع الصور وتبيان مكوناتها ووظائفها والانتقال، تقنيا، إلى مرحلة أخرى.

إن هذه التقنية في إقراء وقراءة الخطاب الاستعاري قد أفرغته، نسبيا، من قيمته؛ أولا لأنها تدرسه بمعزل عن المعنى ومن ثم الخطاب ككل، وثانيا لتحويله ما اعتبر أساس الإمتاع في الأدب إلى مجرد عمليات تقنية تعتمد الجرد أكثر من مراقبة طريقة خرق الخطاب الاستعاري لعوالم الخطاب ككل بنقل العلاقات بين أجزاء الخطاب؛ المعادل الفني لأجزاء الواقع، من علاقات ملائمة يساير فيها الخطاب تنظيم عوالمه وفق عوالم الواقع، إلى خطاب يخرق تلك الملاءمة ويهدمها مقيما على أنقاضها علاقات جديدة، وخالقا عوالم تخرق المألوف لدى القارئ دافعة إياه إلى ملاءمة تجربته ونموذجه الذهني مع عالم الخطاب بنفي تنافرات هذا الأخير وإعادتها متسقة مع التجربة المشكلة في إطار الواقع.

إن تأويل الخطاب الاستعاري في النموذج المدرسي ينطلق من تحديد العنصر الحاضر (المجاز) وعلاقته بالعنصر الغائب (الحقيقة)؛ أطراف الاستعارة. ثم تحديد القرينة (العلامة) المرشحة للمعنى الضمني / المقصود وأخيرا تحديد نوعية الصورة الاستعارية ووظيفتها حسب قصد النَّاصِّ، مع تأكيد مركزية الوظيفة الجمالية. وهو إجراء كما أسلفنا ينم عن اعتبار الاستعارة تبديلا اسميا.

تقترح هذه المقالة نمطا لإقراء الخطاب الاستعاري، ينطلق من مركزية "فهم اللغة" كما اقترحناه في القسم الأول، وحسب التحديد والمواصفات المقترحة، نظرا لأنه يقترح ما اعتبر معيارا للقراءة والقارئ المقبولين، وثانيا لأنه ينطلق من أسية "النموذج العقلي" في كل محاولة قرائية. وكما سبق وأكدنا، في أكثر من

مناسبة، أن القارئ يستصحب معه إلى فعل القراءة نماذجه الثقافية وتصوراته عن العالم، ويعامل الخطابات معاملته لأشياء العالم، مميزا فيها بين المألوف والمنطقي والنموذجي، الذي لا يخرق أفق انتظاره لوجوده أصلا في تجربته ونماذجه الجاهزة، وغير المألوف الذي يضطره إلى إعادة النظر في نماذجه أو إخضاع غير النموذجي والمنطقي والجديد في تجربته إلى المنطقي والنموذجي والاعتيادي. ومن ثم نقترح أن ينظر إلى "الحقيقة"، بمفهوم البلاغيين القدماء، على أنها خطاب يعيد صياغة الأوضاع النموذجية من خلال إقامة ملاءمة بين عالم الخطاب وعالم الواقع وما يكونهما. كما ينظر إلى مقابلها "المجاز" على أنه خطاب يصوغ أوضاعا جديدة تخرق الأوضاع النموذجية والاعتيادية وتقوم على علاقة يغيب فيها التلاؤم بين عالم الخطاب وعالم الواقع. كما ينظر إلى التأويل أو ما سماه البلاغيون "إجراء الاستعارة" على أنه محاولة لرد عالم الخطاب الاستعاري الشارد (المجاز) الى عالم الواقع (الحقيقة) بنفي ذلك الخرق وإنهاء التوتر. وبعبارة أخرى، إخضاع المجاز للحقيقة، وإخضاع المتنافر والمتوتر واللاعتيادي حسب نموذج القارئ للنموذج الثقافي والذهني للمتلقي الذي تتحكم فيه التصورات المنشأة عبر ومن خلال الواقع.

2. 3. الاستعارة أساسا للفهم

إذا كانت الاستعارة حسب التحديد المدرسي، المسند بالأدبيات البلاغية العربية القديمة، وسيلة تزيينية بالدرجة الأولى تتوخى إمتاع المتلقي مما تجسده من عوالم تخيلية تزال فيها الحدود بين مجالات العالم عبر أنسنة الطبيعة وطبعة الإنسان، وتجريد ما هو حسي وتمثيل ما هو مجرد، فإن هذه النظرة قد تجووزت في جل النظريات البلاغية الحديثة باعتبارها، كما تقدم، "وسيلة لتمثيل جانب من جوانب الخبرة في صورة جانب آخر؛ وليست مقصورة إطلاقا على نوع الخطاب الذي ترتبط به نمطيا، أي الشعر والخطاب الأدبي"[(12)]. ما يجعل وظيفتها الأساسإفهامية ابتداء وانتهاء؛ إنها تعمد، في سياق سعيها إلى ذلك، إلى إسقاط عالم أو مظهر أو جانب من جوانبه على آخر وتمثيله به زيادة في إفهامه وفهمه.

يباشر النَّاص عملية تشكيل الاستعارة بالتصرف في معطيات الواقع التي تنعكس على تنظيم الخطاب، خالقا شذوذا وتوترا يتوسط خطابا سابقا ولاحقا. تاركا، في الغالب، أمارة وعلامة لفظية لغوية أو سياقية (الخلفية المعرفية) توجه المتلقي إلى عدم الانجرار وراء المعنى الحرفي للخطاب الاستعاري، وعلاقة بين الخطابين؛ الاستعاري والذي يتمثله، توفر له إمكانية استعادة الاتساق وبالتالي إعادة الخطاب الاستعاري الشاذ إلى حظيرة الخطابات العادية التي يتساوق فيها عالم الخطاب وعالم الواقع.

يقْدم المتلقي على تقبل الخطابات المختلفة بتوجيه من نماذجه الذهنية والثقافية، ويباشر القراءة وفق شرط "فهم اللغة" بتفعيل معاني الكلمات وصنع الاستدلالات وتوقع سيناريوهات لمحتويات المقروء وفق الخطاطات المستصحبة حول بنيات الخطابات ومستويات الواقع. يكتشف الاستعارة في الخطاب، لا من منطلق تعيين الكتاب المدرسي كما هو الشأن بالنسبة لبرامج الثانوي التأهيلي، بل بالشعور بفقدان الاتساق

بين ما قبل المقطع الذي تضمن استعارة وما بعده، لكونها "عطلت توقعاته من أجل أن تدفعه إلى توسيع معناها بطرق جديدة"[13].

تقوم الاستعارة على مبدأ أن "التعبير الاستعاري" لا يمكن أن يفهم حرفيا لمخالفته لتنظيم الواقع، إلا في حالة "إسقاط محتواه على عالم ممكن"[14] يقع خارج تنظيم الواقع الذي يشكل تصورات المتقبلين. إن انشغال القراء بتأويل الاستعارة بتلك الطريقة المعلومة يكشف عن عدم تقبلهم للعوالم الممكنة التي تنشئها، لذلك يجتهدون في إخضاعها للحس المشترك. رغم أنها يمكن أن تعلم" القارئ طرقا جديدة في الفهم برفضها الممارسات الدارجة في ربط الأجزاء ببعضها بعضا"[15]، وتجعله يتقبل التفكير بآليات خارج ما اعتبر "معقولا" و"منطقيا" وعاديا". إن "الدهشة التي تسببها استعارة مربكة تشير إلى أننا قاربناها بتوقعات لم تحققها، وهي توقعات تعكس عاداتنا المألوفة في بناء الاتساق"[16].

إن التوتر الذي يُحَسُّ في مواجهة الخطاب الاستعاري منشؤه الترتيب الجديد لعناصر الخطاب التي تقترح ترتيبا مبتدعا عن عناصر الواقع التي تحيل عليها. وهو توتر يحس لغرابة الكلمة التي تعد "بؤرة" الخطاب الاستعاري في سياقها من الخطاب وعدم انسجامها مع محيطها، و"هو التعارض الذي يدفع القارئ إلى توسيع المعنى لاستعادة الاتساق ومعه المعنى"[17]. يستعين القارئ بمحيط الاستعارة لإعادة الانسجام إلى الخطاب، وينطلق مما سمي بـ "القرينة" باعتبارها وسيلة تجسير بين العالم الذي شكلته الاستعارة والافتراضات المسبقة التي كونها القارئ في تفاعلاته مع الواقع. تدفعه هذه "القرينة" (العلامة) إلى التخلي عن تلك الافتراضات وتقبل العوالم المبتدعة كإجراء أولي لكشف الشذوذ، ومن ثم العمل على استعادة الاتساق = الانسجام، بتوسيع معنى "البؤرة" في ظل "الإطار". ولم لا الاستعانة بـ "قرائن الترشيح أو التجريد" كآليات مطبعة مع العالم المبتدع المشكل بواسطة الاستعارة (الترشيح)، أو الارتباط بالتجربة المُمَثلة القائمة على التلاؤم مع العالم الواقعي.

إن الإمتاع الذي تسهم فيه التعابير الاستعارية بشكل كبير في جميع أشكال الخطابات ليس نابعا، فقط، مما تتركه الاستعارة في نفس المتلقي من ظلال عوالم متخيلة تبعث على النشوة والغرابة معا. بل وبالقدر نفسه، وربما أكبر، بالانتقال من حالة غير متوازنة تفرضها المفارقة بين ما يشيده الخطاب الاستعاري من عوالم مبتكرة وبين النماذج العقلية والثقافية للمتلقي التي تشكلت في واقع يعيد الخطاب الاستعاري تنظيمه وفق غايات محددة. إن غياب هذا التوازن يهدد العقل في آليات تأويله للعالم، وما التأويل إلا سعي للإعادة هذا التوازن وخلق شكل من أشكال الانسجام بين الذات ومحيطها. لذلك، فإن الخطاب الاستعاري في الأدبيات الثقافية العربية والغربية كان دائما مضبوطا بضوابط "عقلية" تعيد العوالم الشاردة إلى قوانين العالم الواقعي، وتؤمن "للمؤول" قناة سلسة للانتقال بين العالمين تحت ما سموه بـ"المناسبة".

لنأخذ جزءا من قصيدة أدونيس "نامت يدي" مثالا على ما قيل:

1. نامت يدي
2. نامت عروق يدي
3. وتثاءب الملل.

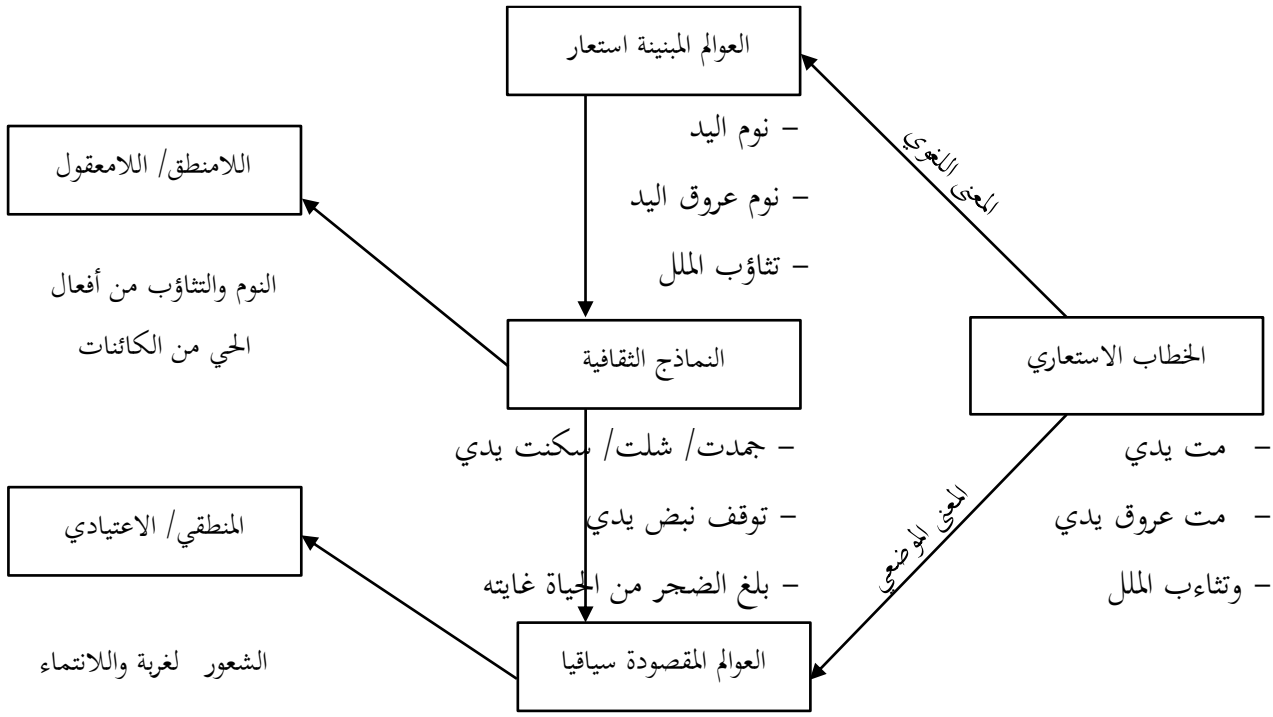

يوضح التخطيط السابق المسار الذي يتخذه تأويل خطاب استعاري؛ يتجه التأويل من الملفوظ الاستعاري عبر قراءة خطية دلالية من المعنى اللغوي الذي يستخلص عادة من فهم اللغة إلى المعنى الموضعي (Situated meaning) الذي يستنتج من السياق المقالي والمقامي[18]، يتم إسقاط أو، على الأقل، تفعيل النماذج الذهنية / الثقافية المبنينة من التجارب السابقة والمقارنة بينها وبين العوالم التي شكلها الخطاب. يتم استنتاج انعدام التطابق، كليا أو جزئيا، حسب تقارب العالمين، لتخالف آليات تنظيمهما لموجوداتهما؛ فيحكم على الخطاب الاستعاري أو بالأحرى العوالم التي يشكلها باللامعقولية واللامنطقية. وكما ورد في المثال تم تغيير نظام الواقع الذي يسند الأطر الثقافية للمتقبل؛ فجعل الخطاب الاستعاري اليد وعروق اليد – وهي أجزاء من كل له إرادة واختيار، وهو ما ينعدم فيها – تنام، كما جعل الملل، وهو حالة نفسية، يتثاءب.

إن العوالم التي أنشأها الخطاب الاستعاري تبدو مفارقة لعالم الواقع، لا من حيث المكونات، بل من حيث طريقة جعل هذه المكونات تعمل، صار من لا إرادة له ولا اختيار يختار النوم مستغرقا فيه فاكتسب سمات الكائن الحي، كما استحالت الحالة النفسية كائنا يتثاءب من الضجر؛ يد وعروق تستغرق في النوم، وملل يمل الملل.

إن غلبة التجربة أو النماذج الذهنية المسندة بالواقع وآليات عمله وتنظيمه تأبى عليه أن يتقبل هذه العوالم المباشرة التي ابتدعها الخطاب الاستعاري. لذلك، يحس المتقبل بانعدام الانسجام بين ما يعرفه ويتوقعه وما يستقبله. يدفعه عدم الانسجام أو غياب التوازن الذي يحسه إلى البحث عن نسبة عوالم تقبلها تجربته وأطره الذهنية إلى الخطاب الاستعاري، محاولا دفع التوتر الذي يجسده تنظيم الخطاب بطريقة لا تتلاءم وتنظيم الواقع، ومنطلقا من توسيع دلالات مكونات الخطاب؛ البؤرة منها (نامت- تثاءب) والإطار لاستعادة الانسجام. وما دامت اللغة تقدم تمثيلا للإدراك فقد تم توسيع دلالات مكونات الخطاب الاستعاري بالانفتاحات على الارتباطات الدلالية والتداولية؛ ينفتح "النوم" على السكون والثبات وانعدام الحركة بل وغياب الحياة، كما ينفتح التثاؤب على الضجر والملل ولاجدوى اللحظة ولاقيمة ما يؤثثها. وبتوسيع دائرة الاحتمالات، بفتح البؤرة على الإطار يتحول نوم اليد إلى انعدام رغبتها في العمل لانعدام الحافر ولا جدوى العمل، كما يتحول "نوم عروق اليد" إلى المبالغة في التدليل على لاجدوى العمل والسعي والكد؛ فالعروق الحاملة للحياة قد سكنت وتوقفت ورقدت، وأنى لليد العمل ولا حياة تحملها على ذلك. يتثاءب الملل ضجرا من واقع ساكن راكد تغيب فيه الحياة.

يصل المؤول بتوسيع سياق مكونات الخطاب الاستعاري مضافا إليها سياق القول الداخلي والخارجي المستدل عليه من الخطاب (أمشي وراء غدي / أمشي ولا أصل / وأكاد أحترق / ويملني القلق) ومن الواقع إلى "المعنى الموضعي"؛ فيستنتج أن القصد من الخطاب ليس العالم المبتدع، بل التعبير عن الإحساس بالاغتراب النفسي داخل الوطن وعدم الشعور بالانتماء (أحيا بلا وطن / أحيا بلا زمن). ومن ثم، يستعيد الانسجام بين الواقع والخطاب.

إذا كانت الاستعارة تضمر التماثل بين بنية صريحة غير مقصودة وبنية إضمارية مقصودة فإن وظيفتها الأساس هي الفهم؛ إنها فهم تجربة بإسقاطها على أخرى، وارتباطا بالمثال أعلاه؛ فهم تجربة الاغتراب والإحساس بلاجدوى الحياة في ظل واقع لا شيء يدل فيه على الحياة، وجعل المتقبل ينفتح على تجربة العوالم النفسية للذات المتلفظة بالقول، بإحالته على عوالم أخرى تنضح بالسكون والجمود والضجر، ينام فيها من ليس قابلا للنوم وتتوقف فيها مادة الحياة عن التجدد، ويمل فيها الملل نفسه.

لنأخذ مثالا آخر من الأسطر الأولى من قصيدة "المومس العمياء"[19]، والتي يقول فيها بدر شاكر السياب:

1. الليل يُطبق مرة أخرى، فتشربه المدينة
2. والعابرون، إلى القرارة ... مثل أغنية حزينة.

تقول البلاغة التقليدية في مقاربة الخطاب الاستعاري في هذين السطرين؛ إنهما يتضمنان مجازا عقليا في الجملة الأولى حيث إسناد فعل أطبق إلى غير فاعله الحقيقي؛ إذ لا يمكن عادة وواقعا أن يكون لليل أطراق يحكم بهما قبضته أو يغطي بها موضوع القبض والتغطية. ويمكن القول إن التعبير استعاري في لفظ

أطبق الذي قام مقام الفعل الأصلي "غطى" و"خيمّ، وإذ ذاك يتم تشبيه الوارد بالمقدر. أو استعارة شبه فيها الليل بكائن حي لد القدرة إلى الإمساك والتغطية بإحكام. بينما في الجملة الثانية نجد تعبيرا استعاريا يشبه الليل بمادة سائلة تشربها المدينة التي شخصت هي الأخرى استعاريا لتصير كائنا قادرا على إتيان فعل الشرب إلى آخر قطرة في المشروب على طريقة الاستعارة القائمة دائما على المشابهة. وفي الجملة الأخيرة استعارة أخرى شخصت بمقتضاها الأغنية في صورة إنسان حزين.

إذا تجاوزت المقاربة التقليدية هذا المستوى المدرسي في الوصف فإنها تضيف تفاصيل عما تعتبره أصلا وفرعا في أطرافها، ومن ثم وصف الاستعارة بالتصريحية والكنائية. ولتدافع المعنى الظاهري للقول الاستعاري – وهو معنى في الغالب يكون مخالفا لأطر القارئ / المتعلم – والمعنى المقصود يضاف إلى ما سبق تناول ما يرشح أحدها ويجرد الآخر أو العكس.

وبخلاف التحليل السابق تقدم الاستعارة التصورية مقاربة تتجاوز اعتبار الاستعارة لغوية قائمة على المشابهة والاستبدال إلى اعتبارها آلية مهمة في بناء التصورات وإعادة تشكيل العالم والتصرف في نظامه وأشيائه بتوظيف التصورات القاعدية والاستعارات الأولية وتجميعها في استعارات كلية تقدم صورة مغايرة للأطر والأنماط الذاتية والثقافية التي يتوفر عليها قارئ أو متقبل الاستعارة ككل.

يحمل الإنسان تصورات عن العالم من حوله تكاد تكون نمطية ومتقاربة عند الكل؛ ففيما يتعلق بالتصورات الأساسية الواردة في السطرين الشعريين، نجد أن الليل لا يعدو أن يكون حالة أو لحظة زمنية يغيب فيها الضوء فتنمحي معالم المكان، ورغم أن تصوره بمعزل عن الاستعارة أمر يكاد يكون مستحيلا، إلا أنه على الأقل هناك حد أدنى لتمثُّله. أما عن نقطة بدايته (لاحظ أننا نتصور الزمن خطا له نقط بداية ونهاية وكأنه فضاء متصل محدود) ونهايته فمعلومة. كما أن الليل يستولي (لاحظ مرة أخرى تمثيل الليل استعاريا بالفعل والحركة) على المكان / شيئا فشيئا حتى تنمحي معالم الفضاء فلا يستطيع البصر اختراقها؛ يخفي الكائنات والموجودات وكأنه ابتلعها. وبخصوص تصوراتنا القاعدية عن الأغنية فنحن نعرف انطلاقا من تجاربنا أن الذي يكون حزينا ليس الأغنية في حد ذاتها، بل المغني والمستمع اللذان تبعثان في أنفسهما الحزن والأسى.

لو نظرنا الآن إلى الاستعارات الأولية التي تشكل الاستعارة الكلية لهذين السطرين، سنجد فيما يتعلق بالجملة الأولى: "الليل يُطبق مرة أخرى"، الليل كائن يأتي أفعالا/ إظلام الليل وانقشاعه حركة / الليل يتحرك. أما بخصوص الجملة الثانية: "فتشربه المدينة والعابرون، إلى القرارة"، المكان كائن / الليل سائل / الليل عنصر له بداية ونهاية. وأما شبه الجملة الأخيرة: "مثل أغنية حزينة"، الفعل كائن. تترابط هذه الاستعارات الأولية التي بمقتضاها يتم تمثيل عناصر واقعية؛ قدوم الليل، وانتشاره، وحلكته التي محت الفضاء والكائنات، وفعله في المدينة ونفوس سكانها، وتسريب الألم إلى أفضل لحظات سعادتهم- الغناء. تترابط هذه الاستعارات لتشكل صورة جديدة لحقيقة نعرفها جميعا، ولكن بصورة فيها إعادة تنظيم أشياء العالم (الليل

هنا وأثره على المدينة وسكانها) تنظيما يدفع إلى ممارسة تأويل يعيد المنحرف إلى النماذج والخطاطات التي نمتلكها حول الليل.

تقدم الاستعارة الكلية في السطرين الشعريين الليل وقد أطبق مرة أخرى بإحكام على المدينة وتسرب إلى إحيائها فأخفاها بظلامه الحالك فانقلبت معالمها أثيرا لا شكل له، كما تسرب إلى النفوس فأذهب بهجتها وخلاَّها من مشاغلها باليومي؛ فسلط عليها الهموم والأوجاع. وبهذه الاستعارات أظهر الشاعر الوجه الآخر للمدينة؛ إذ تستفيق الأوجاع والأحزان من مهجعها دافعة الضحايا (المومس – الأضلع المقوسة) إلى البحث عن أمل، ومفسحا المجال للذئاب والخفافيش للتنكيل بها. هذه هي الصورة الكلية التي يحتملها البيت ابتداء، وإلا فإن هناك تأويلات أخرى يمكن تأسيسها على اعتبار الليل ليس لحظة زمنية وحالة غياب الإبصار، بل واقعا مظلما ينخر فيه الظلم والاستغلال والفساد الأخلاقي والسياسي والاجتماعي بصوره وأشكاله.

آن لنا أن نتساءل، ما الجدوى من إقراء الخطاب الاستعاري بطرق تنشغل بجرد وتصنيف عناصرها بالتركيز على ما يشكل بؤرتها دون الانفتاح على إطارها إلا في حدود تشقيقات وتفريعات لا تخدم غاية الفهم والإمتاع إلا نسبيا ؟ ولم لا يتم التركيز على الآليات التي تعتمدها الاستعارة في تشكيل عوالم جديدة تعيد من خلالها تشكيل جوانب من تجربتنا بخلخلة توقعاتنا وإعادة تنظيم أشياء عالمنا. وبالتالي، جعلنا نفهم تجربة أو مجالا من خلال تجربة أو مجال آخر ؟

خاتمة

انطلق هذا المقال من افتراض أن تدريس الاستعارة بالطريقة التي درجت عليها الممارسات التربوية الموروثة عن الأدبيات العربية التقليدية والنهضوية يركز عمل الفهم على تتبع ما يعتبر عناصر الصورة جردا وتصنيفا وبحثا عن المنطقة المشتركة بينها او المناسبة.

اقترحنا في المقابل منظورا بالاعتماد على الاستعارة التصورية كما ظهرت عند العلماء المعرفيين وخاصة لايكوف وجونسون وتورنر. وفيما يلي بعض الخلاصات التي انتهينا إليها:

- التجاوز النسبي للمقاربات التقليدية المكتفية بالجرد والتصنيف لقيامها على اعتبار الاستعارة شكلا لغويا أولا، وقائمة على الاستبدال اللفظي وعلاقة المشابهة ثانيا، وخاصة بالكلام الفني ثالثا، ومن ثم حصر غاية التحليل المدرسي في الأشكال الأدبية؛ الشعرية والفنية، وإدراك تلك المشابهة المفترضة باعتماد عبارات مسكوكة وخطاطات جاهزة لا تدفع المتعلم إلى الغوص في العوالم التي تنشئها الاستعارة وكيفية تنظيمها خارج المألوف، مع حرمانه من نقل خبراته اللغوية في الدرس الاستعاري إلى لغة الحياة اليومية الغنية بالاستعارات.

- النظر إلى الاستعارة، من منطلق الدراسات الإدراكية المعرفية باعتبارها وسيلة إدراكية قبل أن تكون لغوية؛ إذ لا تقوم فقط على استبدال كلمة بأخرى، بقدر ما تتأسس على تشكيل عوالم جديدة تصوغ فيها تجربة أو جانبا من الحياة في ظل تجربة/ جانب آخر.

- اعتبار الفهم القرائي / القراءة ليسا فقط تشفيرا بصريا أو سمعيا للكلمات، بل "فهما للغة"، والقراءة بالمعنى الأخير تسعى إلى بناء نموذج ذهني / تمثيل للنص يطابق أو يعدل النموذج الذهني الذي يحمله معه القارئ حول موضوع النص.

- اعتبار الخطاب الاستعاري عامة شكلا خطابيا يقوم على تحدي النماذج الذهنية الجاهزة وتوقعاتها، وفي الوقت نفسه يسعى إلى اقتراح نماذج ذهنية جديدة تعيد تنظيم الواقع تنظيما جديدا. ولكن هذه النماذج لمفارقتها للنماذج التي يسندها الواقع وتنظيمه تعد غير اعتيادية ولامعقولة، وسرعان ما يتم تجاوزها باعتماد "التأويل" لمحاولة إخضاعها للتجربة وتوقعات الذات. لكن مع تسجيل أن التعبير الاستعاري، وإن تجوهلت فيه العوالم المبتدعة التي يشكلها، إلا أنه يمكن المتقبلين من فهم تجربة عبر أخرى. لهذه الغاية، اقترحنا أن تراعى هذه التصورات في إقراء الاستعارة بدل الاكتفاء بالجرد والتنصيف التقنيين، وفي نفس الآن التركيز على أشكال تنظيم عوالم الخطاب في علاقتها بالعوالم الواقعية التي تحاكيها وتقطعها وتحورها، وآليات الانتقال بين العالمين بتوسط النماذج الثقافية بحثا عن الانسجام وتحقيقا للملاءمة بعد التوتر والانفكاك.

الهوامش

(1) وخاصة في كتاب لايكوف وتورنر: GEORGE LAKOFF & MARK TURNER. (1989). More than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor. Chicago: University of Chicago Press, xxii + 230 pp.

(2) Gee, James Paul. (2011), An introduction to discourse analysis: theory and method, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, third edition, p: 76.

(3) Ibid, p: p: 71- 72.

(4) George Lakoff, (2008), The Neural Theory of Metaphor, in book= The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought, Edited by RAYMOND W. GIBBS, JR, Cambridge, New York, Melbourne, Madrid, Cape Town, Singapore, São Paulo. pp p: 17- 38.

(5) Goatly, Andrew. (2008), Washing the Brain – Metaphor and Hidden Ideology, John Benjamins North America, Philadelphia pa, USA, p: 11.

(6) بيليخوفا، لارزيا، "مقالتان في إدراكيات النص الشعري"، ترجمة: محي الدين محسب، مجلة فصول، عدد 100، ص: 155.

(7) لايكوف، جورج، جونسون، مارك. الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، ص: 156 وما بعدها.

(8) ريكور، بول. الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة- فرنسا، الطبعة الأولى، 2016، ص: 90.

(9) لايكوف، جورج، جونسون، مارك. الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، ص: 157.

(10) لايكوف، جورج، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط1، 2005. ص: 86.

(11) بيليخوفا، لارزيا، "مقالتان في إدراكيات النص الشعري"، ترجمة: محي الدين محسب، مجلة فصول، عدد 100، ص: 150- 152.

(12) فاركلوف، نورمان. اللغة والسلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2016. ص: 164.

(13) آرمسترونغ، بول ب، القراءات المتصارعة: التنوع والمصداقية في التأويل، ترجمة وتقديم فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى 2009، ص: 113.

(14) إيكو، أمبيرتو، "تأويل الاستعارة" ترجمة: لحسن بوتكلاي، مجلة فكر ونقد عدد، ص: 10.

(15) آرمسترونغ، بول ب، القراءات المتصارعة: التنوع والمصداقية في التأويل، ترجمة وتقديم فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى 2009، ص: 117.

(16)المرجع نفسه، ص: 117.

(17)المرجع نفسه، ص: 108.

(18) Gee, James Paul. (2011), An introduction to discourse analysis: theory and method, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, third edition, p 103.

(19) السياب، بدر شاكر، ديوان بدر شاكر السياب (2016)، المجلد الثاني، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى. ص: 144.

المصادر والمراجع

- Gee, James Paul. (2011), An introduction to discourse analysis: theory and method, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, third edition.
- George Lakoff, (2008), The Neural Theory of Metaphor, in book= The Cambridge Handbook of Metaphor and Thought, Edited by RAYMOND W. GIBBS, JR, Cambridge, New York, Melbourne, Madrid, Cape Town, Singapore, São Paulo.
- Goatly, Andrew. (2008), Washing the Brain – Metaphor and Hidden Ideology, John Benjamins North America, Philadelphia pa, USA.
- J. Oakhill, K. Cain and C. Elbro, (2015), Understanding and Teaching Reading Comprehension, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York.

- آرمسترونغ، بول ب، القراءات المتصارعة؛ التنوع والمصداقية في التأويل، ترجمة وتقديم فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى 2009.
- إيكو، أمبيرتو، "تأويل الاستعارة" ترجمة: لحسن بوتكلاي، مجلة فكر ونقد، عدد: 26.
- بيليخوفا، لارزيا، "مقالتان في إدراكيات النص الشعري"، ترجمة: محي الدين محسب، مجلة فصول، عدد 100.
- ريكور، بول. الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة- فرنسا، الطبعة الأولى، 2016.
- السياب، بدر شاكر، ديوان بدر شاكر السياب (2016)، المجلد الثاني، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى.
- فاركلوف، نورمان. اللغة والسلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2016.
- لايكوف، جورج، جونسون، مارك. الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية 2009.
- لايكوف، جورج، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط1، 2005.

EISSN : 2710-8643

ISSN : 2602-7585

لوحة الغلاف للفنان أحمد بوحفص